

الآنظارك طويلاً

محمد عائشة ايناس



إهداء

إلى كل أبوين يساندان أبنائهم للمضي قدما

وإلى كل صديق عزيز يساند صديقه

وإلى كل من ينزف قلبه من الوحدة

وإلى كل عاشق للحروف ووقعها

إيناس

في الرابع والعشرين من شهر جانفي 2018

كانت لاتزال جالسة تحتضن دفترها القديم والدموع
تتصبب منها ،عندما بدأ الفجر يرسل أول

خيوطه

:لقد تعبت من هذه الحياة ،سأنهي كل هذا !

قلبت صفحات من دفترها قبل أن يقع بصرها

على صورتهم ،تعالت شهقاتها بين الجدران الصماء

إلا أن تلونت حروف دفترها باللون الاحمر

القاني.

الفصل الاول

في الثامن من سبتمبر عام 2017

تبدأ الأحلام الجميلة عندما نواجه

كوابيسنا ونطردها بعيدا، كلنا نخاف في البداية من
مواجهتها قد نخسر أمامها مرة ومرتين وثلاث إلا أنه
لا يجب أن تثبط عزيمتنا، هل إستسلم سيدنا موسى
أمام كيد فرعون أم أن سيدنا يوسف عندما رمي
في السجن لسنوات عدة إنقاد لوساوس الشيطان
فإرتمى يبكي خوفا ويأسا، أم أن سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم، عندما ذاق اليتيم وشبع ألما
وذلا توقف وتقبل واقعه بصمت، كلا لا هذا ولا
ذاك قد إستسلم، كلهم رابطوا على قلوبهم
تمسكوا بحبل الله جميعا، صبروا وجاهدوا في

سبيل الله عز وجل فأتاهم اليقين والبشر
بعد الحين ،يقول العرب قديما : "كل منتظر هو آت"،
صدقوا حقا فنحن عندما نؤمن بشيء ما بشدة
ولا نحيد عنه ثم نتركه لرب الكون ، لو اجتمعت
الارض بالسماء سيحصل
والله سيحصل لأنه هو الذي قال :
"بديع السموات والارض وإذا قضى
أمرا فإنما يقول له كن فيكون"،وقال أيضا عزوجل
:"وإذا سألك عبادي عني فإني قريب اجيب
دعوة الداع إن دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا
بي لعلهم يرشدون".
أهناك قولاً أعظم من كلام الله تعالى ،بالطبع
لا يوجد !،
إذا لما الحزن ،لما هذه الوجوه المتجهمة
إبتسموا فإن الحياة برمتها في ثانية واحدة
مهما كان طعمها مرا لا يستساغ ،ستنقضي
حتى قبل أن نشعر بها.

لتغلق هدى دفترها بعد كتابة في أول صفحاتها
حملت حقيبتها المدرسية لتبدأ أول أيامها
في السنة الدراسية الجديدة.

الفصل الثاني

جلست في مقعدها تستكشف الوجوه الجديدة

-إثنان فقط لاغير!

عندما جلست زميلة لها بقربها

-السلام عليك هدى

-وعليكم السلام ورحمه الله وبركاته

-كيف قضيت عطلتك هذه السنة ؟

-في المنزل، وأنتي

-في رحلة إلى منزل جدي في العاصمة

لتصمت مع إبتسامة صغيرة فهي لم ترى

جديها من قبل إلا نادرا ولم تجرب قبل السفر، هي

تخشى الأماكن الجديدة وكل ما هو مختلف عنها

فتنزوي بين عائلتها في منزلها وحيدة تسافر بأحلامها

بين صفحات الكتب والقصص فتروي ظمأها من هذا
العالم البديع.

إنتهى الدوام المدرسي باكرا فعادت إلى بيتها
وكان مهجورا كعادته لقد سافرت أمها صبيحة
هذا اليوم مع أخوتها عند أخوالهم سيعودون
بعد أسبوع

لم تهتم كثيرا فهي إعتادت على ذلك ،رمت
بمحفظتها إلى جانب خزانة الملابس ،ثم إرتمت
على

السريير لتغفوا وتفكر هل سيبقى حالها دائما
هكذا وحيدة

لتعود ذاكرتها إلى عدة سنوات مضت حيث
كانت الدماء تغرق الأرض وهناك جثة لطفلة
صغيرة وهناك في الظلام الدامس أحدهم
-هدى,,,هدى إنهضي!

-لتستيقظ وحببيات العرق تتصبب منها

-إهدئي ،كان حلما

رفعت عينها لصاحب الصوت، كان والدها

الحمد لله

-كم أخبرتك ألا تنامي هكذا ،

-لا- أنا بخير، وتنهض من على الفراش

كم سيبقى هذا الحلم يتبعها -أستغفر الله!

هو ذكرى شائبة من ماضي لا يرحم..

الفصل الثالث

"كنت أعتقد أنني سأفنى وحيدة حتى وجدتك "

إستيقظت صبيحة الأحد ورغبة في

العودة للسريـر تجتاحها صلت فرضها

ورتبت فراشها وإلى روتينها

أين حملت حقيبتها وهي تتثائب بكسل

وسارت إلى مدرستها

كان أغلب الطلبة أمثالها قد إعتادوا على

العطلة ،دخلت ومصادفة إصطدمت به

-أنا أسف هل أنت بخير

نظرت إليه كان زميلها الذي تكرهه

(سحقا أي صباح هذا)

-اجل - لا بأس وأكملت مسيرها إلى قسمها،
أين جلست بعيدا بعيدا وذلك لكي لا تصطدم
به بذلك العدو اللدود

والمعروف بسي "رأفت"،

بدأ درس اللغة العربية ثم الرياضيات ثم

الفرنسية

أين كانت المفاجأة أن أستاذ اللغة

الفرنسية. كان مشرف القسم الرابعة متوسط

م2م قدم برنامجا دراسيا لطلبته ليختمه

بتغيير مقاعد جلوسهم

-هل هذا نحس أم ماذا ؟

كان نصيبها يرمي بها خلف عدوها

-أستاذ أستطيع تغيير مكاني

-لما هل هناك مشكلة مع زميلتك

-لا لكن،،،،

-إذا إجلسي بهدوء

في سرها)تبا لك (

مرت دقائق طويلة وكأنها ساعة كاملة

لم تحتملها هدى (متى ينتهي من هذا الدرس

- يارب وأخيرا إنتهى وياليتة إستمر لأكثر من

ذلك ،كانت تهم بالخروج

بالفرار من هذا السجن الملعون ،عندما

إستوقفها إلتفافة رأفت إليها

مد يده يعرف نفسه -أنا رأفت

لم تفهم ماجرى كان يبتسم ببساطة لها وكأنه

لا يعلم مدى حقدها عليه أيسخر منها ام ماذا

إستحت من عينيه الودودتين ومن برائته

-أنا هدى!

-تشرفنا (وإبتسامته تكاد تصل إلى عينيه)

سرحت به لثواني معدودة أقل مايقال عنها أنه بريق

ملون خطف بصرها في تلك الثواني وكان ذلك

بداية لشيء ما بداية شجارات لاتنتهي

وبداية صداقة وطيدة لسنين ،وبداية سعادة

حقيقية ، ندى وهي تستغرب صمتها

١-أنت أين سرحت ؟

وهي تعود لهدى أصلية)بنظرة حازمة)أنظر أمامك

فما كان من المسكين أن هز أكتافها وإنصاع

لجبروتها

كان هذا أول المواقف التي تجمعهم والتي ستخلد

من أجمل الذكريات.

الفصل الرابع

"أقول أنني بخير لأنني ميتة منذ البداية "
في مكان آخر على بعد آلاف الكيلو مترات
كانت هناك فتاة في العشرينات من العمر ذات
شعر أسود يصل إلى أكتافها تغطيها
بمحرمة وعينيان واسعتات بلون
الخشب المحترق
تمسك بيدها "الشكوة" وتفرغها من ما تحمله
لتغطي عيناها بباطن كفها المزين بالحناء
من أشعة الشمس الملتهبة في عز

الصيف عندما سمعت على أحد يناديها

تركت ماكانت تمسكه ونظرت للظل

الذي يقترب نحوها

كان أخاها أيوب ومن معه كان

حماره مالذي أتى به باكرا

دخلت على أمها في الخيمة الشعر

المفروشة بالزربية

واخبرتها أن أيوبا قد أتى باكرا فخرجت

تستقبله بينما عادت هيفاء الى أعمالها

هي بدوية من مدينة غليزان تعيش رفقة

عائلتها المكونة من والديها طاعنين في

السن وأخويها أنور وأيوب في منطقة

منعزلة عن العالم

أين تأويهم الأرض وتظلمهم السماء تصاحبهم

خلائق الكون من كل الجهات

-هيفاء أين أنت ياعزيزتي؟

-هنا أمي -مالأمر؟

-تعالى يا ابنتى أخوك جاء من مكان بعيد

وأنا رجلاى تألمانى

سمعت أمر والدتها وأخذت تحضر ماىرىده

أخوها الأكبر منها عندما سمعته يحدث أمه

بأنه سىسافر إلى المىنة للبحث عن

عمل

أسقطت ماكانت تمسكه من ثياب وشحب

وجهها

-هل حقا ستذهب ،،،الى مىنة!

وهو ىرى التردد فى عىنها قلقتىن

-أجل ،،لما تسألىن

ونظرات الحزن الجارحة تنطق بما ترىد عندما

عجز اللسان عن التعبير

-ألا تعلم السبب ،،،،وتركتهم لتفر بعيدا

جلىست وبكت

- سيتكرر ذلك،،،، أنا أشعر به في صدري

هي تدرك تماما ما سيحصل

سيرا ق دم مجددا ستفقد روح جسدها !

كان اخوها مصمما على الهجرة فإنطلق

قبل طلوع الشمس يمشي تارة واخرى

حتى وصل إليها لكنه لم يتوقف عند

هذا الحد كما أخبر أهله بل تابع

مسيرته الى مدينه اخرى

دخل منزله والذي كان قد إشتراه سرا

عن باقي عائلته كانت الأضواء

منطفئة والغبار يعلن سيطرته على

المكان ،لم يهتم كثيرا رمى حقيبتة

ودخل الى المطبخ يجهز شيئا مما

أحضره معه .

الفصل الخامس

"أشياء كثيرة اردتها في حياتي ومنها أنت"

كانت تكتب درسها في صمت تام

وألاف أفكار كالعادة تحاوطها التمارين

المدرسية، الحياة وما تحمله لها

-هدهد!

-نظرت لمن يكلمها: كان زميلها الجديد أمجد

لم تعطه أهمية كثيرة فهو يحب إزعاجها

أغلب أوقاتها كانت قد ندمت أنها أعطته
فرصة لصداقتها ، لا تكرهه ولا تحبه في

الواقع

هذه مشاعرها مع كل البشر

-هد هد !

-نظرت له بصرامة بأن يصمت وعادت لما

تفعله لكنه لم يتوقف وهي أستمرت

تقابل كل جملة منه بالصمت

فهم رأفت أسلوبها هذا و إعتنقه وإن كان

يكلمها من وقت لآخر، فيمازحها بكلمات

لطيفة وإن كانت

تبتسم فقط حتى صادقت رفيقه ياسين

كان شابا مزوحا خفيف الظل ذو عينين

زرقاوتين ،

كلماته صادقة ،كم كانت تحب حديثه

عندما يجلس مع رأفت يضحكها

بتصرفاته العفوية، إنتهت حصة للأولى

فسارع للجلوس أمامها،

-أهلا هدهد

-اهلا ياسين كيف حالك

-نعمه والحمد لله يا صديقتي، سمعت أنك

تحبين الغناء

-أدندن قليلا، لكني أهوى الكتب

-اذا ماهي أغنيتك المفضلة

-مهم جدا وجودك في تفاصيلي، هي لطيفة

إلى حد ما.

-هي بالتأكيد جميلة مثلك،

إستحت من تعليقاته الصريحه هو دائما هكذا .

الفصل السادس

"وإلى متى ستبقى هناك وإلى متى سأبقى

سجينه هنا"

إستطاعت هيفاء وأخيرا التخلص من هذا
الخطيب الأحمق، لاتدري كيف إنخدعت عائلتها
به، المهم أنها إستطاعت التملص منه
وهذا هو الشيء المهم، كان قد رآها مرة وهي
تعمل مع أمها في احد الاسواق الشعبيه
ومنذ ذلك الوقت وهو

يلاحقها أينما وطأت قدماها لم تكن مستعدة
الزواج بعد ويبدو أنها لن تستعد أبدا
طال غياب أخيها لعدة أيام هي تتذكر جيدا
ما حصل في ذلك اليوم
عندما قتل عمها في إشتباك كان قد حصل
يومها بين أصحاب الأراضي، كانت ابنة
الحادية عشرة سنة، عندما وجدت عمها
يقتل أمامها على يد صديقه المقرب عجباً
من زمن أصبح الأخ ينكر أخاه لأجل
بضع أوراق نقدية، هي تكره المدينة و
أهلها والآن عليها ان تحرض عائلتها
ليعودوا بأخيها قبل أن يقع مكروه به
وبالفعل قامت بذلك وبعد وبضع محاولات
يائسة

إقتنعوا بالأمر لكن لم يكن هناك إلا حل واحد
وهو السفر اليه !

ماكانت تريد الفرار منه ستذهب بقدميها إليه
- ترى مالذي تخبأه لي ايها الزمن - وألى
أين ستصل بي ؟.

الفصل السابع

"تأخرت كثيرا لكنني وصلت في الأخير"

حزمت عائلتها أغراضهم وقصدوا المدينة

ظلت تنظر من على زجاج النافذة إلى الأماكن

تودعها إلى أشجار وإلى التراب وإلى السماء

زرقاء الغريب في هذه الحياة أنها تجمعنا

بما نريد أن نفر منه ،بعدها تعلمنا فن

التجاهل والهروب

تعطينا خيارات عدة وكأنها تستشيرنا في

أمرنا ثم تجبرنا على خيار واحد في الأخير

وهو المواجهة مع أكبر مخاوفنا فيطرحنا

ذلك العدو اللدود أرضا

البشر مخلوقات قد تتشابه أحيانا في الشكل
لكن لكل بشري شخصية خاصة به
فهناك القوي والضعيف، الشجاع والجبان
الصادق والكاذب، النبيل والمنحط
وكل له خياره ويخضع لنفس إمتحان
لكن القليل من يواجهه، "المؤمن قوي احب
إلى الله من المؤمن الضعيف"، وهنا نرى
الحل، أمر الله تعالى بالمواجهة والصبر
في كتابه الحكيم لم يقل إنتصروا بل
قال "جاهدوا"

لأن النصر من الله نفسه
إذا تتلخص الإجابة أن نستقبل أي إمتحان
بصدر رحب فمهما طال إختبار هو فترة
وتمضي وأن لا نستسلم لها فأصلب معادن أمام
إرادة تنحني، وأن نحاول إبتسامة والعيش لأن
الزمن بخيل لايعود وأينما وجدت مثابرة
والعزيمة تصطاد أجمل أقدار.

طرق باب منزل هدى عندما توقف صوت
الشاحنة أمامهم ،فتح والد هدى الباب وكانت
عائلة أخته قد حلت ضيفة عليهم
دخلت هيفاء المنزل وكان غاية في البساطة
والجمال
عندما إلتقت بإبنة خالها هدى التي لم ترها
منذ سنين

الفصل الثامن

"هل يمكن أن تمسك أنت بيدي لأنني

عاجزة عن ذلك"

-هل تحتاجين الى شيء آخر!

-لاشكرا - سأدخل لأستحم قليلا..

لتعود هدى إلى غرفتها تكتب في دفتر

يومياتها بعدما ساعدت هيفاء .

جلست على كرسي تقلب صفحاتها لقد تغيرت

حياتي كثيرا منذ إلتقيت برأفت

وقعت أصابع يديها على إحدى صفحات

والتي كانت قبل أيام مضت عندما كان

يحاور رأفت رفيقه

ياسين

رأفت:-هل العقل أولى من القلب أم العكس

ياسين:-العقل أولى منه لأن من يحكم

بقلبه يعيش ضعيفا

-بالقلب فإنسان اذا حكم فقط بعقله

يعيش تعيسا كما ان هناك أشياء

يجب إستشارة القلب بها ولا يستطيع

العقل أن يفهمها

-خلق البشر كائنات عاقلة وهذا تميزنا به

عن باقي المخلوقات أما القلب فحتى

الحيوانات تحمله

أدم-في الواقع كلاهما مخطئين

-لماذا؟

-قال ربي أنه جعلنا أمة وسطا، اذا نحن

علينا دائما أن نحكم بالعدل بين العقل والقلب

كما قلت خلق الله انسان كائن عاقل

يستطيع بفضل عقله أن يمحص

المعلومات وأن يميز بينها
قال ربي "اقرأ باسم ربك الذي خلق،"
وهذا دليل صريح على أهمية العقل
وشأنه الكبير.
رأفت :-أرأيت
ادم :-إنتظر يارأفت فأنا لم أنهي كلامي بعد.
والقلب كذلك خلق الله تعالى انسان
وجعل القلب أهم عضو به
-كيف ذلك ؟
لقول النبي صلى الله عليه وسلم
"-استفت قلبك وان فتاك الناس وفتوك".
كما قال أيضا: "-ان في الجسد مضغة
إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت
فسد الجسد كله ألا وهي القلب.
وقد قال تعالى أيضا موضحا أهمية
القلب
لايحاسبكم الله باللغو في ايمانكم

لكن يحاسبكم بما كسبت قلوبكم
لماذا لم يقل عقولكم وقال قلوبكم
لأن القلب صادق وهو أعدل من العقل
بذاته

ياسين:- اذا القلب اولى
ادم :- وهل يعيش المرء بقلبه فقط
هناك توازن بديع خلقه الله
تعالى بين العقل والقلب
لأن كلاهما ما يرفعان إنسان
وكامل مخلوقاته .

الفصل التاسع

وفي الصفحة الثانية كانت قد دوت ذلك اليوم

جميل عندما حل المولد النبوي الشريف

أقام الطلبة حفلة صغيرة

وكانت هدى تمازح أصدقائها الجدد آدم

ومحمد و ياسمينه وكوثر
ياسمينه -حجرة ورقة مقص الخاسر يرقص لنا

هدى -ادم وكوثر معي
رأفت إنتظروني أنا معكم
هدى - اذا أنت مع محمد وياسمينه .

جميعهم :واحد إثنان ثلاثه
كوثر :لقد خسرتم ،رأفت إبدأ أولا
كان يرقص رقصهم قبائي بطريقتة
مضحكة حتى إنفجروا ضاحكين،الآن دورك
ياسمينه غني لنا

،،،هيا،وهكذا حتى إنتهى يومهم،والذكرى
الأخرى عندما كان هناك إضراب
بالمدرسة وحوطوا الساحة يستمتعون
وهم يتسابقون ويلعبون ،كانت ذكريات
لاتنسى

خرجت هيفاء من الحمام هي تكبر هدى
بيضع سنوات

-بصحتك

-الله يسلمك هدى ،هل تدرسين الآن

-لا اكتب فقط

-جيد لأنني أشعر بالنشاط وأريد ان أتحرك قليلا

-انا تعبة وسأدرس غدا ،ماذا تريدين أن تفعلي

لنتكلم قليلا ،واقتربت منها على السرير

في ماذا تريدين الحديث:

-عنك مثلا ،ماهي أحوالك مع المدرسة

-بخير لي أصدقاء جدد والبرنامج الدراسي سهل

-وكيف هم أصدقاؤك معك ،

-طيبون للغاية هناك رأفت وياسين وكوثر

وياسمينة وحليمة وأدم ومحمد،لن تصدقي

روعتهم وخاصة رأفت

أتصدقين بانني كنت أكرهه كثيرا لكننا

الآن أصدقاء في مرة كنا في الحصة

الرياضية وكانت ستمطر وعندما أراد أستاذ

أن يلغي الحصة خرج هو وياسين وسحبنا معه نلعب
تحت المطر إلا أننا عوقبنا في النهاية

وفي مرة أحضرا فأرا إلى المدرسة وقام برمييه على
فتيات في فصلنا وهكذا نجونا من الفرض الفجائي

وفي مرة أخرى كنا نمثل مسرحية للحفل الغنائي
وسقطت نظارته منه وعندما أخذها اليه قد كان يردد

ياليتني كنت شجرة ياليتني كنت تمثال حرية
كم هو شاب بسيط ومضحك مع أن مظهره لا يوحى
بذلك

-هل تحبينه !

تفاجأت هدى من سؤالها لكنها أنكرت ذلك

-هو مجرد زميل مستحيل أن يحصل شيء من هذا
قبيل

لكن هيفاء أخذت تنصحها وتحذرها من العلاقات
المحرمة وعواقبها

الحب ليس حراما كما يقول عنه

البعض بل بالعكس هو حلال وألطف

المشاعر واجملها ولكن للأسف في

مجتمعاتنا شوهوه بالعلاقات غير شرعية

لقوله تعالى «لاتواعدوهن سرا»

هناك فرق بين فتاة صانت شرفها

وعرضها لمن أحل بها

وفتاة باعت نفسها تحت ما يسمى الحب

فتاة خافت ربها واحترمت من رباها

وفتاة فكرت فقط بنفسها وشهوتها

وكل فتاة في هذا العالم وان تقل

تحلم بفارس أحلامها ذلك الأمير

الذي يخطفها من عالمها ويفر بها إلى

ما وراء السحاب لكن الفتاة المسلمة

لا تنتظر أحدا

هي تخلق بنفسها جناحين لتطير

بهما أينما أرادت هي تذرّف دموعها

كل ليلة مع كل آية قرآنية، هي تسهر

إلى الفجر مع سجاداتها تكلم

من تعلق قلبها به وتعلم أنه
لن يتركها لوحدها أبدا
هذا هو الحب الحقيقي
أن ترضي محبوبك بكل ما أوتيت
من قوة ليكلم الملائكة في عرض
السماء إنني أحببت فلانة فأحبوها
ثم يسقط القلب في الحب الحلال
فيرزقك ربك بمن يستحقك
بمن أحبه الله كذلك ويعلق قلب
بعضيكما ببعض، يقال كل
من صبر رزقه الله بأفضل مما
يستحق لأنه المعطاء الكريم الودود
تدعوه بالرزق فيرزقك من حيث
لا تحتسب، تدعوه بالراحة
فينزل السكينة في قلبك
وكان الله عليما حكيما

ان تعلق قلبك برأفت استخيري
ربك فإن كان خيرا فلن يقطع
الأوصال بينكما وسيجمعكما في
الحلال ان شاء الله وان كان شرا
فسيبعده عنك ويرزقك بخير
الأمور.

الفصل العاشر

"عندما تعبت من المحاولة بدأت بالأحلام".

كانت تفكر في كلام ابنة عمتها هيفاء وهي

تسير إلى المدرسة حتى إصطدمت بأحدهم

رفعت رأسها تعتذر عندما رأت تلك

الملامح تلك عينين، تلك الأسنان الصفراء

من تعاطي الكحول والتدخين

إصفر وجهها وأخذت تتراجع شيئاً فشيئاً للوراء

الدهشة شلت لسانها لم تعرف ماذا تفعل لتستدير وتفر

من الشارع الآخر

وطيفه أمام عينيها ركنت ألى احد الأشجار تغلق

أذنيها لاتريد سماع أي صوت آخر

لا،،، لا !

أغمضت عينيها بعنف لا تريد إلا أن تختفي من

هنا ومن هذا الموقف

-هدى،،، هدى

وهي حالها ذاك-إبتعد عني،،،، أتركني

-سحب يديها من أذنيها كانت لازالت تحت الصدمة

-أنظري أنا ياسين، هدى أنظري لي

نظرت إليه ترتعش كان ياسين ورأفت بجانبها

لم تعرف ماذا تفعل لكنها بكت على صدر

ياسين لم يفهما ماذا حدث لها وأبا أن

يتركها لوحدها

رأفت:-هدى إشربي قليلا

نظرت إليه يطمأنها فإستعادت وعيها وشربت

قليلا، لكنها لم تخبرهما بما حصل رغم

إصرارهما عليها وسارو إلى مدرستهم معا

حال هدى أقلق رأفت كثيرا، فأصبح

من ذلك اليوم يراقبها من زهابها

ومجيئها وبعد أيام عندما لم يجد داع
لذلك توقف ولم يخبر أحدا بما كان
يفعله أما هدى فالكوابيس قيديتها من كل جهة
أصبحت ترتعد خوفا حتى من ظلها
لم يخفى على أحد حالها لكن مع إصرارها
بالصمت تنازلوا وتركوها لشأنها و
إن كان والدها يأخذها للشيخ من فترة
لأخرى كي يرقبها.

الفصل الحادي عشر

"ماظننته بعيدا هو اقرب الي من نفسي السكين
قد وقعت وفي اي بقعة ستسقط لازلت
أنتظر."

إتصلت عائلة هيفاء بابنها كثيرا دون فائدة
لم يعرفوا مكانه ما زاد من قلقهم
كانت هيفاء تتصل عليه ليلا ونهارا
وبلا جدوى وهنا ماكان منهم إلا أن
يستنجدوا بالشرطة وبدأت التحقيقات
حول إختفائه .

-هيفاء لاتقلقي، متأكدة بأنه بخير
هو رجل كبير ويعرف ما يفعله
لكن دموعها أبت أن تتوقف
قلبها منقبض على أخيها ليفتح في هذه

الأثناء اخوها أنور الباب

-هل يمكنني الدخول

-اجل تفضل ،هل هناك خبر

-اجل وجدوا أغراضه في شقة

ياسمه بولاية المعسكر ،لكنهم وللأسف لم يعثروا
عليه .

هيفاء وهي منهارة

-أخبرتكم انني لست مرتاحة لسفره لكنكم لم تستمعوا

لي ،قلت لكنكم لم تهتموا

وإنهارت في البكاء مجددا تحت صمت أنور ومحاولة
هدى الفاشلة في مسانديتها .

-مرت الأسابيع ولاخبر عن أيوب حتى الآن

ماذا حل به ياترى ؟,,,هل هو بخير

بدات المخاوف تنسج شبكتها في بيت

العائلة ولا يوجد اي حل حتى ذلك اليوم

حين ارتفت الشمس في جوف السماء

وبدأ الضلام يسدل ستائره على الكون
رن جرس هاتف المنزلي ،ليرد والد هدى
بعد وقت قصير والنظرات حوله تستجد
أي معلومه او خبر يثلج صدورهم
وضع سماعة الهاتف وهو يراهم يستحثونه
على الكلام

-لقد عثروا عليه!

تعلقت أخته في رقبته تطمان على حال ابنها الأكبر
لكنه صمت ،لتبدأ أنفاسها تتصاعد ودقات قلبها ترتفع
-,,,,,أنور إتبعني !

-لم يفهموا شيئاً لكن حصل شيء ما
هم متأكدين من ذلك خرج أنور ليلحقه بعدما
إرتدى معطفه ليحويه من حبيبات البرد
القاسية.

كان الطريق طويلا بالنسبة إليهم إختار كلاهما
الصمت حتى وصلا إلى الموقع أين كانت
سيارات الإسعاف والشرطة منتشرة

وأصوات الناس مرتفعة في حين أن المطر
يشق طريقه نحو الأرض
وجثة أحدهم مغطات على وشك
أن تحمل إلى سيارة لإسعاف إقتربا وأنور يستفهم
ما يحدث حتى وصلا إلى صاحب الجثة ليرفع
العميد الغطاء عن وجهه وكانت الصدمة
أيوب هو من يرقد فوق الحمالة .

الفصل الثاني عشر

"كلما قلت أنني نضجت وسأتوقف

عن البكاء أعود للبكاء مجدداً."

كانت هدى مبعثرة لقد وجدوا ابن عمتها

ميتا داخل سيارة مرمات في البحر

هي ليست بوفاة طبيعية

حسب التحقيقات الجنائية، كانت المكابح

مخرّبة، لقد تم تلاعب بها لكي يبدو أنه فقد توازن

وسقط من أعلى الجرف في البحر

لكن من ياترى يكون السبب والسؤال الأكبر كيف

وصل أيوب الى هناك، المنزل مسجل بإسمه

إذا هو ذهب بقدميه الى هناك ولكن لما؟

كانت تجلس على مقعدها في القسم

تجهز للامتحان وزملائها يعزونها

على وفاة قريبها .

ياسين :- اهلا هدى كيف حالك الآن

-بخير ،،، بل تعب قليلا

-تعلمين أنك تستطيعين التوكل علي إن إحتجت إلى أي
مساعدة

بابتسامة لطيفة :-شكرا لك

أمجد:-عظم الله أجركم وغفر لميتمكم

-اجرك على الله

كانت تكلمهم والإرهاق قد أخذ حقه منها،حتى إرتخى
جسدها وبدأت تغيب عن هذا العالم

-هدى هل انت بخير؟

كادت تقع أرضا عندما أسرع رأفت بإمساكها

رأفت :كوثر نادي أستاذ!

أسرعت كوثر لطلب المساعدة وتم نقلها

الى المستشفى ولم تمر نصف ساعة حتى

إستفاقت من جديد بدأت تفتح عينيها
تحاول إكتشاف مكانها عندما وجدت والدها
وانور وياسين إلى جانبها
أنور:- هل أنت بخير هدى
هزت رأسها إيجابا بسبب إيعياء
ياسين:- سيكون كل شيء بخيرا!

الفصل الثالث عشر

"تبعثرت الحروف عند شفتي واختلط كل شيء

علي، ترى ما العمل."

إنقضت أيام العزاء وتفرق الأحبة في الأرض

في هذه الحياة نعيش ما يسمى بالفراق

له أنواع عديدة من الهجرة إلى الوداع

وأشده الموت!

الموت هو خيط من حرير يلتف حول رقبة

الإنسان عندما تحين اللحظة

يطبق ملك الموت بقبضته تلك ويسحبه

ألا أن تخرج الروح وتعود من حيث ما جاءت

هل الموت اذا طيب ام شرير؟

هو لا هذا ولا ذاك عندما

يموت الأشرار تتنفس الأرض من رحيلهم

وعندما يموت الأختيار تتوسع الارض
وتضحك لتستقبلهم ،

الهجران أمر مؤكد لكن الزمن حدوثه فقط يختلف
كلنا ماضون في هذا الدرب في يوم ما
ليستقبل النبي أرواحنا بوجهه الجميل
في الواقع هل هناك أجمل من ملاقات الله

بقيت جريمة مقتل أيوب سرا لم تستطع لا
شرطة ولا اي احد حله حتى أتى ذلك اليوم
ارتسم قرص الشمس عاليا في السماء عندما رن
هاتف هيفاء منذرا عن وصول رسالة جديدة
فتحته وعيناها لازالتا مجهدتين
"إن أردت إيجاد قاتل أخيك فتعالني
إلى ***بعد 10أيام من الآن."
لم تستوعب محتوى رسالة بعد
من الذي أرسلها وكيف وصل الى رقم
هاتفها ومن اي يعرف بالقصة برمتها

أسئلة كثيرة عشعشت داخل عقلها
كانت تباشر بإعلام عائلتها بالأمر عندما
وصلت رسالة ثانية
"أصمتي إن أردت إتمام عملية أو
سينقلب الحادث على أنور."
جحظت عيناها وإنسحبت الدماء من
وجهها حتى كادت تفقد وعيها .

الفصل الرابع عشر

"هل تسمع نبضات قلبي، هي تنادي

عليك."

عادت هدى إلى منزلها بعد خروجها من المستشفى

وكانت حالتها من السيء الى الأسوء بعدما رآته

مجددا!

قبل تسع ساعات:

خرج والد هدى ليتنفس الهواء بينما هي تقبع

على سريرها تجاهد تلك الكوابيس والأصوات

المزعجة إستيقظت على لمسة يد خشنة

تتحسس ملامح وجهها الناعمة

-عينها لاتصدقان ماتريانه

-بالتأكيد أنا أحلم،،،(والخوف يتسرب من داخلها)

،،،إبتعد عني ،،،،،قلت إبتعد

نفظت ذراعه بعيدا عنها وهي ترفع من صوتها بينما
يزيد من قهقهته مستمعا بخوفها

-لم تستطع لحراك بسبب أنابيب والأجهزة مكبلة بها
لتحمل كأس الماء من جانبها وترميه عليه
-هدى ،،،،هدى !

فتحت عيناها كان كابوسا أخر لقد أصبحت

تعيش داخل دوامة من الرعب

-هل أنتي بخير،، كان ذلك والدها

إرتمت على صدره تبكي لقد تعبت

كثيرا تعبت من كتم ذلك السر اللعين

تعبت من أحلام لا ترحم، تعبت من وحدتها

والخوف الدائم

تسارعت نبضاتها مجددا عندما لمحتة يمر

من أمامها كان هو بالتأكيد وهذه المرة لا تحلم

لاحظ رأفت عينيها جاحظتين وكأنها رأت شبحا

أمامها إستدار الى جهة الباب ولم يكن هناك أحد

-مالذي تخاف منه يا ترى ومما هي خائفة هكذا؟

أسئلة كثيرة لا أجوبة لها، أما هدى فلم تستطع

البقاء في المستشفى أكثر من ذلك
وبالفعل عادت الى بيتها وهي متكورة على نفسها
لاتحادث أحدا بما تعرفه

الفصل الخامس عشر

" أنا أغرق لينقذني أحدهم."

في الوقت الحاضر:

كانت هيفاء أشبه بشجرة عصفت

بها الرياح ولا تعلم سبيلا لنجاتها

هل ستسمع لصاحب الرسالة وتصمت

وماذا ان فجا ،

فاجئها عودة هدى من المستشفى مع أبيها

هل ستخبره الحقيقة

عليها ان تنتظر بقيت تسعة أيام على

الموعد.

تردد الكوابيس على هدى أرهاها سجينه

غرفتها كانت تراه دائما حتى أكتفت ذات يوم

وأخبرت أنور وهيفاء بالحقيقة

قبل 11 سنة:

كانت هدى تبحث عن والدها لتزور منزل
صديقه لكنها لم تجده وتعود أدراجها
للمنزل، وأثناء عودتها على الساعة

1:43

زوالا سمعت أصواتا تصدر من ذلك
المنزل المهجور في آخر الحي ،
خافت بادئ أمر لكنها تجاوزت ذلك
ومشت بخطوات حذرة نحوه وأخذت
تطل من خلف الباب كان صوتا غريبا لم
تعرف مصدره فتجرات وفتحته بهدوء
وبحذر خطت نحو الداخل
ومع أول خطوة خطتها شعرت بشيء
حار يلفح رجليها العريتين من قصر
تنورتها، إستدارت بهدوء لتصطدم
بعينين سوداواتين واسعتين تقطران دما
تهجم عليها بظرفة عين لتسقط من

الفرع ويغنى عليها لم تعرف
المدة التي قضتها وهي مرمية
على الأرض مغمى عليها ثم إستفاقت
في الأخير، نظرت حولها بخوف
لتراه بعيد عنها يغرز سكينه في جثة
شيء ما وتتلطخ يدها بالدماء تراجعت
للخلف حتى إصطدمت بالبواب الحديدي
وينتبه عليه وبهتت ملامحها وبرد
أوصالها عندما وقف وحذى نحوها
لتستدير بسرعة وتفر إلى منزلها لم تخبر
أحدا بما عاشته لتمر أسام ويشيع خبر
وفاة طفل في حادث غريب أين
وجدوا جثته مرمية في أحد أكياس
نهشت ملامحه وكان ذئبا قد إفترسه
خرجت مع والدها الذي أصر عليها
في مرافقته ورأته ذلك الشخص
مجددا في الجنازة كان ينظر لها

ولم يرفع عينيه عنها
حتى إلتصقت بوالدها ومنذ ذلك
الوقت وهي على هذه الحالة .

الفصل السادس عشر

"يارب أغثني."

أخذت هيفاء تطيطب على ظهرها تخفف على
هدى التي أخذت دموعها تنهمر بغزارة

-لاتخافي مامضى قد مضى

-لكنني رأيتته

أنور :-أين ؟

-في المستشفى وذلك اليوم في الشارع

-ربما كنت قد تخيلته

انفجرت باكية :-لم يكن حلما

-حسنا حسنا اهدئي!

"الخوف هو تلك الأشواك الغائرة في نفوس

البشر ،

تولد في صمت تام

تترصد كل من حولها

ثم تختفي تماما بلا مقدمات

هل ماتت ،،، كلا

تتغذى سرا وتتنفس سرا

وفجأة تظهر للعلن كوحش كاسر

يخطف الروح الضعيفة ثم يكبلها

يجلدها كل ليلة وثانية

حتى تستلم !

ثم ماذا ؟

ثم يسلط عليها كل أتباعه

ينهشون جسدها الخائر

ثم ماذا ؟

ثم تموت تلك الضعيفة

وتدفن في قبر الزمن.

المصائب لم تألمني
ألمني أنني واجهتها لوحدي!.

الفصل السابع عشر

"مزعج أن تعرف الحقيقة

لكنك تصمت عنها."

تأرجح أحرف العشق عند شفتي

فتساقط المشاعر مع أسنة الحب الابدي

أنا رجل بألف رجل

أسقط مئخن الجراح

وفي كل جرح أدون درسا جديدا

أخفي وليدي بين أضلاعي في صدري

ليبقى الحب داخل الأسوار

محميا دائما

أستكين للأيام الهادئة

ليجلس القمر على عتبات السماء

في جنبات المساء

يلحن اسم حبيبتى.

كان رأفت هائما بتلك المتمردة التي

مزقت كل شبر منه وأردته

شهيدا،

أحب حركاتها العفوية وكيف تتعصب

بسرعة عندما تخفق في امر ما ،

_أحب هدوئها وصوتها،

حتى انني احب دموعها!

كيف أصارحها بأنني اغار عليها من كل

حرف تنطقه مع غيري ومن كل

ذكر يحوم حولها!

سأعترف لها غدا ،فأنا قد ضاق

بي الحال وهي ليست ملكا لي.

وبالفعل مع أول النهار هرول

إليها ينتظر ملاكه ليخرج

وهاهو خرج ،تمشي بوقار تستقبل

الحياة مع فرص جديدة

تراقب يمامه أعلى احد منازل تقترب

من محبوبها فيصدها ويطير بعيدا عنها

لأنثى غيرها

"-عجيب هو الحب ،وعجيب خلق انسان

تحب أنثى فتسمى بلهاء ،ويحب

الرجل فيسمى عاشقا لما السبب

ياترى ؟الأنثى اخر مخلوقات الله

كتلة من مشاعر متدفقة لاسبيل

لفهمها،بينما الرجل اقوم منها

كائن هش سرا صلب للعيان

الآن آدم هو من خلق أولا

أم لأن حواء خلقت من ضلعه

خلقها الله من ضلعه لتكون تحت

جناحه فتستكين عندقلبه

تحت حمايته .

الفصل الثامن عشر

"الى من يراقبني هل أنت عاقل

أم مجنون لتختارني."

إنقضت الأيام الباقية بسرعة وحن اليوم

الموعود، أن بدأت هيفاء ترتعد خوفا

من الموعد وصلت إلى مكان المقصود

كان الميناء هادئا غير من أصوات

طيور النورس المحلقة

مرت الدقائق عليها كأنها دهر كامل

حتى إهتز الهاتف في جيبها

كان رقما محجوبا

-من معي

-إنهبي الى كرسي من جهة الشمال

وإنظري تحته

مشت اليه وسحبت ظرفا

-الآن إفتحيه.

فتحته وكان يحمل صورا لأشخاص

كثر

-من هؤلاء ؟

-هؤلاء من ماتو بسبب أخيك

-مالذي تعنيه؟

أخوك الحبيب كان تاجر مخدرات

-أنت تكذب

-أنا لا أكذب ،،، أنظري إلى تلك الفتاة

الجميلة ذات القميص الأزرق أخوك

كان السبب في إنتحارها

بسببه طردت من عائلتها أصبحت شريفة

حتى فقدت الرغبة في الحياة

وخنقت نفسها

والآن أنظري الى ذلك الشاب الأسمر

كان إنسانا طيبا يحبه الجميع حتى

تعرف على اخيك ودسه في ذلك
المستنقع القذر والآن يقبع في السجن
أكمل لك؟

إنهارت هيفاء على الأرض فالأخ
الذي كانت تستند عليه دائما ومن
تعتبره قدوة في الحياة وحصنها
هو مجرم وقاتل
إستفرغت أهاتها ودموعها على الارض
كيف يمكن ذلك كيف لذلك أن يحصل
-أعلم أن ماعرفته ليس بالسهل

لكنها الحقيقة!

-لكن كيف مات أخي -قلت
أنك ستخبرني إن أتيت.

-انا من قتلته!

-بدأت هيفاء تفقد إتصالها مع العالم

خارجي

من هول الصدمة وهي ترى

أقدام تقترب منها
حذاء أسود وسروال كلاسيكي لأحد
الرجال يقف أمامها
أرادت رفع رأسها لكنها فقدت الوعي
في الأخير بعد إلتقطت
أذناها آخر كلمات
إنتظرتك طويلا هيفاء
«هو مات وأنت من ستدفعين الثمن»

الفصل التاسع عشر

-هناك مثل عربي قديم يقول
«ما فعله الأباء يدفعه الأبناء»
في الواقع هذه حقيقة أليس
الثأر ميراث من أب الى الإبن الى الحفيد
أليس أكثر مواتانا اليوم وليد القصاص
قال عز وجل «يأيها الذين
أمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى
الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى
بالأنثى»

من منا لا يحفظ هذه الآية لكن لما
لا يقرأون ما قاله الرحمان بعد ذاك
«فمن عفي له من أخيه شيء فإتباع

بالمعروف وأداء إليه بالاحسان ذلك
تخفيف من ربكم ورحمة فمن إعتدى
بعد ذلك فله عذاب أليم »

ربي أحل القصاص لكنه لم يحل الضلم
لم يحل تعذيب الأبرياء أو أذيتهم
بل جعل الظلم ظلمات يوم القيامة
فكيف لنفس إذا أن تحل ما حرمه
رب السماء

أو حتى لما عليها أن تأذي
لما عليها أن تقتل أو تهرب المخدرات
وتلتمس الرذيلة والفواحش
والمنكرات كل نفس تميز بين
الخير والشر اذا لماذا يوجد بالأساس
صراع بينهم هل كان حسد الشيطان
على ادم وتكبره عليه
يستحق أن يرمي بالألاف في النار
جهنم أو يدفعه ليوسوس في نفوسهم

كي يحصل كل هذا
تعلمت من حياة قاعدتين أساسيتين
أن الظلم ظلمات فعندما عشت
أقسى عذاب يمكن أن يعيشه
المرء لم أستطع أن أقبل الظلم
أبدا فحتى نفسي إعتذرت منها
مرارا وتكرارا على كل جرح
أحدثته بها
أما القاعدة الثانية أن الله
يمهل ولا يهمل
كنت أبكي في كل عيد ميلاد
لي وفي كل صلاة وبين الأذان
والإقامة وفي كل ليلة عندما ينام
أهلي وفي كل كابوس أستيقظ منه
ولا اجد أحد إلى جانبي ليهدئني
لأنني شعرت أنني وحيدة
أنني بلا سند أنني

مسؤولة عن كل من أعرفهم
فيجب أن أحميهم وفي نفس الوقت
أبكي لأنني ظننت أن قاتلي لا زال
حرا طليقا سعيدا
حتى إصطدمت به في أحد الأيام
يحترق أمامي ولا ينجده احد
يبكي قهرا فيصم الكون عنه
لم أعرف هل إرتحت عندما رأيته
تحت عدالة رب العرش العظيم
أم عندما شعرت أن ربي كان
بجانبي لم يتركني كان اقرب من الوريد
الى قلبي كان يسمع دموعي اثناء الليل
كان يقبل دعائي لم يرضى لخلق
أن يراني ضعيفة فكان يمهل
فقط ولم يهملني أبدا.

الفصل عشرون

"لودام فراقنا ألف عام سأظل

أنتظرك."

هدى لم تعد كما كانت عادت الى سابق

عهدها عجيب كيف اننا عندما نتحدث

نرتاح ببساطة توطلدت علاقتها برأفت

وياسين أكثر وان كانت اوقاتها مع

ياسين أكثر

-هدد جرأة حقيقة أتلعبين

-موافقة ،لتطوي كتابها

-رأفت تعال جرب معنا

-حسنا ،، عند ثلاثة

هدى -ياسين جرأة او حقيقه

-حقيقة

-من اكثر أستاذ تكرهه

-شريعة المخبر أستاذة فيزياء

-حسنا حسنا اترك دراما

ياسين -هدهد دورك

-جراة

-اصفعي كوثر

-موافقة

كوثر :-سأعيدها لك انتظري فقط

هدى :-الآن دورك رأفت

ياسين :-قل قصيدة في هدى

يالمن لقمر إنشطر نصفين

شطر في سماء يضيء

وشطر في الأرض يمشي

ياسين-شاعرا!

ليربت رأفت على صدره وكأنه تأثر

هدى :-أعرف أنني منورة حتى دون أن تقول

ياسين :- لذلك لا تظهرين إلا في الليل

وتعود لضربه بالكتاب.

الفصل الواحد والعشرين

"لكل قصة بطل يجسدها لكنني تعبت من

دور البطولة وسأكتفي بالثانوي."

بعد أربع ساعات كاملة افاقت تلك القابعة

على السرير تفتح أجفانها بصعوبة

-أين أنا

-في بيتي!

نظرت لصاحب الصوت، كان غريبا لاتعرفه

حاولت رفع نفسها بلا جدوى كان جسدها

مخدرا بالكامل فرمت رأسها على السرير

-من أنت؟

- أحمد

-وكيف أتيت الى هنا

-انا احضرتك

-لم أفهم

ستصل عائلتك قريبا لذلك

إسمعي جيدا :إن كنت تريدين

أن تعيش عائلتك بسلام

فيجب أن تستمعي لي

وتطبقي كلامي بالحرف الواحد

-ماذا تريد مني بدون مراوغة

-ستصبحين زوجتي

-لم تصدق هيفاء ماسمعته

وكانه تنتقل من مصيبة الى مصيبة

أكبر منها

-سأتي لخطبتك بعد ثلاثة أيام

وستقبلين وان رفضت تعلمين

عاقبة هذا فعل

-كانت على وشك البكاء لماذا عليها

أن تعيش كل هذا

-انا

الفصل الثاني والعشرون

في مكان آخر

قبل ساعة واحدة:

إنتهى الدوام الدراسي وخرج

الجميع بسعادة

أين كانت هدى تلوح مودعة أصدقائها

قبل أن تلتفت وتراه

بردت أوصالها

عندما إلتقته

-إنها أنت بالتأكيد- إنتظرتك

طويلا هدى!

ليغمى عليها من هول الصدمة تنطق

ياسمه

-أحمدا!

في الوقت الحاضر:

كانت هدى في منزلها وعلى سريرها

حاولت تذكر ما حصل معها

كان أحمد بالتأكيد من غير الممكن

أن تخطأ به

حاولت خروج من هذه الدوامة عندما

دخلت هيفاء الغرفة

شاحبة الوجه معدومة الروح

-إستيقظت !

-كيف حالك هيفاء

وكانها ظفطت على زر في قلبها لتنفجر

باكية

وهي ترمي بنفسها على جانب السرير

تضم رجليها الى صدرها

-لست بخير يا هدى ،لست بخير

اخى مات وكل من احببتهم ماتوا

واخي كان مجرما

مات الكثير بسببه
والآن سأتزوج بقاتل أخي
لأنقذ أنور منه!

-في الواقع الحياة ليست سهلة
كلنا نعيش مصائب يوميا
نتلقى الكثير من تحديات التي لا
ترحم

التي تثقل كاهلنا كثيرا!
لكن أيمن صدها؟
لا!

أيمن الهروب منها؟
ربما!

هل يمكن الفوز عليها؟
بلا!

إذا كيف ذلك؟
بعدم الإنصياع للكسل والخذلان

بعدم البكاء عند كل سقطة
بإحكام العقل وإلجام القلب
بالصبر والهدوء
بالعمل ثم العمل ثم العمل
بالأخذ من الغير والتعلم من مواقفهم
عدم التوقف عند كل خسارة
والرضى بالقدر خيره وشره
وأهم شيء في كل هذا
التوكل على الله تعالى
"من يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه
من حيث لا يحتسب
ومن يتوكل على الله فهو حسبه
أن الله بالغ أمره قد جعل لكل
شيء قدرا."

انتهت بعون الله ورحمته
ألقاكم في الجزء الثاني
من رواية
"انتظرتك طويلا"

عائشة ايناس ✘